المجاز

(تابع لما في الجزء الثالث)

واما المجاز المرسل فهو ما عبّر فيهِ عن الشيء بلفظ مُلابسهِ وسُمّي بالمُرسَل اي المُطلَق لخلوّهِ عن قيد التشبيه الذي هو شرط الاستعارة ولذلك عرّفوهُ بانهُ اللفظ المستعمل في غير ما وُضع لهُ لعلاقةٍ غير المشابهة . وقد انهوا انواع العلاقة المعتبرة في المجاز المرسل الى خمسة وعشرين نوعاً نذكر هنا اشهرها واكثرها دوراناً في الكلام . فنها تسمية الشيء باسم جزئهِ كقولهم سافر ولا ظهر لهُ أي لا دابّة لهُ يركب ظهرها وعندهُ كذا رأساً من الغنم وهو الواحد منها وهو يملك كذا رَقَبَةً أي عبداً وكتسميتهم السيوف بالظُبَى وهي جمع ظُبَة ومعناها حدّ السيف واطلاقهم العوالي على الرماح وهي جمع عالية والمراد بها صدر الرمح وقيل هي نحو ثلثهِ مما يلي السنان . ومثل ذلك تسميتهم البيت من الشعر بالقافية وتسميتهم الخطبة بالكلمة والكلمة بالحرف الى غير ذلك . ومنها تسمية الجزء باسم الكل كقولك ضربهُ فشجّهُ اي شجّ رأسهُ لأن الشجّ خاصٌّ بالرأس وقطع الأمير اللصّ أي قطع يدهُ وقولك وكف البيت وانما تريد السقف لأن الوكف لا يكون الاّ منهُ ورجلٌ اكحل العينين أي الاجفان وهو ان تكون سوداَء خلقةً وأشهل العينين أي الحدقتين وهو ان يكون سوادهما مَشُوباً بحمرة . وكذا قولك رجلٌ اكحل واشهل ومثلهُ رجلٌ أفقم واصلع واقطع واعرج يُطاق الوصف في ذلك كلهِ على الشخص والمراد بهِ العضو الذي يختص ذلك الوصف بهِ وهو كثيرٌ في الاستعمال . ومنها تسمية الشيء باسم

محلهِ كقولك حكم المجلس بكذا أي رجال المجلس وقولك شربت الكأس أي شربت السائل الذي فيها وقرأت الصحيفة أي قرأت ما فيها من الكتابة ومثل ذلك قولك زخر الوادي وفاض الاناآء ورشحت المزادة وهذه بئرٌ عذبة وسوقٌ رائجة وقولهم حنَّت اليهِ ضلوعهُ وملأَت الهموم صدرهُ وما جرى هذا المجرى * وقد اضطرب كلام البيانيين في هذا النوعِ فانهم تارةً يعدّونهُ من المجاز المرسل ويمثلون عليهِ بقولهِ فليدعُ ناديهُ وتارةً يعدّونهُ من المجاز العقلي ويمثلون عليهِ بقولهم نهرٌ جارٍ ولا يظهر بينهما فرق . ولعل الاوجه فيما كان كذلك أنهُ ان كان المحلّ خاصاً بالحالّ فيهِ او مما يغلب ان يكون محلاً لهُ كما في سال النهر كان اطلاقهُ عليهِ مجازاً مرسلاً وان كان وجودهُ فيهِ عارضاً كما في قولنا سالت البيدآء اذا كثر فيها مآء المطر فهو مجازٌ عقلي . ووجههُ ان بين النهر والمآء تلازماً في الذهن لأَنهُ لا يقال الاَّ لما يجري المآء فيهِ فيكون المآء داخلاً في مفهوم النهر فاذا صُرف المعنى اليهِ كان مجازاً مرسلاً لأنهُ يكون من قبيل المجاز في المفرد وكان الاسناد اليهِ اسناداً حقيقيا . وبخلاف ذلك البيدآء فانهُ لا دخل للمآء في مفهومها لانها لم تُعهَد قطّ محلاً لهُ فاذا اسنِد اليها ما يُسنَد الى المآء كان المجاز في الاسناد دونها وبقي لفظها على حقيقتهِ . وعلى ذلك يتمشى ظرف الزمان ايضاً فيكون نحو صبيحةٌ باردة وظهيرةٌ غرّآء أي شديدة الحرّ من قبيل المجاز المرسل ونحو يومٌ صائم وليلةٌ ساهرة من قبيل المجاز العقلي والله اعلم .　　ومن ذلك تسمية الشيء باسم الحالّ فيهِ وهو عكس ما تقدم كقولك نزلت بالقوم أي بدارهم ونزلت الخمر أي ثقبت اناآءها وأجدب القوم أي اجدبت ارضهم ومثلهُ مطِر القوم وقولك

سقى الله فلاناً وما أشبه ذلك وهو قليل . ومنهُ تسمية الشيء باسم آلتهِ نحو هو صادق اللسان أي الكلام وصادق العين أي النظر وفرسٌ سريع القوائم أي الجري ولفلانٍ في هذا الامر يدٌ ولهُ اليهِ قدم وكتبت بالقلم الريحاني ولفلانٍ قلمٌ بليغ الى غير ذلك . ومنهُ اطلاق العامّ على الخاصّ كتسميتهم القيد بالادهم والزنجيّ بالاسود والرمح بالاسمر فانها صفاتٌ عامةٌ جُعلت اسمآءً لهذه الاشيآء . ومن هذا تخصيصهم اللوح لما يُكتَب عليهِ واليراع وهو القصب للاقلام والأَسل وهو ضربٌ من النبات للرماح والحبل للرسن والشآء للغنم وهي في الاصل تشمل المعز والظبآء والبقر والنعام وغير ذلك . واما عكس هذا اي اطلاق الخاص على العام كاستعمالهم الرائد لكل طالب حاجة ونقلهم الحُوّة من الوان الخيل الى كل ما كان اسود وقولهم رُضاب المُزن ورُضاب النحل الى غير ذلك فالصحيح ان هذا كلهُ على التشبيه فهو من قبيل الاستعارة . ومثلهُ استعمال الخاص في الخاص كاطلاقهم الجفن على غمد السيف والحاجب على حرف الشمس والحِجْل وهو الخلخال على البياض في قوائم الدابّة وكقولهم شفة الكأس وعنق الابريق وفم المزادة وغير ذلك مما تقدم ذكرهُ في محلهِ

وقد رأَيت ان اكثر هذه الوجوه يرجع في الغالب الى التفنن في اساليب التعبير والتوسع في استعمال اللغة و بعبارةٍ أُخرى يُقصَد منهُ التعبير عن المعنى الواحد بطرقٍ مختلفة على ما يذكرهُ البيانيون في تعريف هذا الفن وعلى ما سبقت الاشارة الى مثلهِ في بحث الاستعارة . ولذلك لا يكاد شيءٌ منهُ ينطبق على غرضنا في هذا الموضع ما خلا النوع الأخير منهُ وهو

اطلاق العامّ على الخاصّ فانهُ كثيراً ما يُستغنَى بهِ عن الوضع المخصوص فيما لم يوضع لهُ لفظ . وذلك كما يقال نخل الشيء اي صفّاهُ واختارهُ ثم قيل نخل الدقيق اذا ساقطهُ من خصاص المنخل ليعزل نخالتهُ عن لبابهِ . وكقولهم المّ الامرُ اذا قرب ثم قالوا غلامٌ ملِمّ اذا قارب البلوغ وشجرة ملِمّة اذا قاربت ان تثمر . وقولهم دفن الشيء اذا سترهُ وواراهُ ثم خُصّ بدفن الميت . وقولهم حجّ فلاناً اذا قصدهُ ثم خُصّ بقصد المعاهد المقدسة . ومن ذلك الوَغَى اصل معناهُ الصوت والجَلَبة ثم خُصّ بالاصوات في الحرب ومثلهُ الوَعَى بالعين المهملة . والقصَب وهو كل نبتٍ ذي أنابيب ثم خُصّ بهذا النبات المعروف . والحِضن وهو جانب كل شيء وناحيتهُ ثم خُصّ بالانسان وهو ما دون الابط الى الكشح . ومثلهُ العِطف بالكسر وهو الجانب من كل شيء ثم خُصّ باحد جانبي الانسان من لَدُن رأسهِ الى وركهِ . ومثقال الشيء وهو مقدار ما يوازنهُ يقال ما عند فلانٍ مثقال ذرّةٍ ذهباً ثم خُصّ المثقال بمقدارٍ معلوم وهو درهمٌ وثلاثة اسباع الدرهم . وقس على كل ذلك ما اشبهُ وهو في اللغة اكثر من ان يُحصَى (ستأتي البقية)

الكَفَرة

هم جيلٌ من سكان جنوبيّ افريقيا يُعرَفون بهذا الاسم قيل سماهم بهِ المسلمون من العرب عند ما دخلوا بلادهم بقصد دعوتهم الى الاسلام . وهم قبائل منتشرة على شاطىء البحر الهندي من بلاد موزمبيق شرقاً الى بلاد الرأس غرباً على مسافةٍ تقرب من ٦٠٠ ميل طولاً في ٢٥٠ عرضاً . و بلادهم

كثيرة الخصب فيها عدة انهار وتتوسطها من الشرق الى الغرب سلسلة جبال شديدة الوعورة وفيها كثيرٌ من الأدغال والصحاري الرملية . والسنة هناك فصلان وهما الصيف والشتآء والمطر يبتدئ من شهر يونيو وينتهي في ستمبر ودرجة الحرارة في الظل تكون في أيام الشتآء عند منتصف النهار بين ٨° و١٧° من السنتغراد وفي الصيف ترتفع الى ٢٦° . واشدّ الحرّ في دسمبر ويناير



وفبراير وقد يبلغ فيها درجةً لا تطاق ولا سيما في السواحل . وتحدث في هذه الأشهر عواصف شديدة متواصلة يعقبها احياناً مطرٌ غزير ويكثر فيها الضباب في اكثر انحآء تلك البلاد فينشأ بعد نصف الليل ولا ينكشف الاّ نحو الظهر

والكَفَرة يختلفون في الخلق عن مجاوريهم من الزنج والهوتنتوت فان قحوفهم مستديرة كقحوف القوقاسيين وانوفهم غير فُطس بل هي في الغالب قنوآء اي محدودبة الوسط ولكن شفاههم مدلاّة كشفاة الزنوج ووجناتهم

شاخصة كوجنات الهوتنتوت وشعرهم جعد ولكنهُ انعم من شعر الزنج . واجسامهم على العموم كبيرة حسنة التركيب وألوانهم الى السواد ولكنهم يصبغون وجوههم وسائر ابدانهم بالمغرة وهي التراب الاحمر المعروف وربما اضافوا اليها ولا سيما النسآء منهم عصير شيء من الرياحين ويطلون فوقها بالشحم او النِقي وهو مُخّ العظم لتلصق باجسامهم فيكتسب الجلد بذلك ليناً

اما لباسهم فيتخذونهُ من جلود الحيوانات التي يصطادونها او يربّونها ويتحلون بأسورةٍ من العاج او النحاس يجعلونها في ساعد اليد اليسرى وبخرصان من مثلها يقرطون بها آذانهم وغالب معاشهم من الماشية واما الزراعة فقليلة عندهم وهي من اعمال النسآء

ومتى بلغ الغلام منهم او الجارية السنة الثانية عشرة أُرسِل الى شيخ القبيلة ليتولى تأديبهُ وتخريجهُ فيقيم الغلمان على حراسة المواشي ويعهد الى رجاله في تعليمهم استعمال الحراب والهراوَى وتمرينهم على العَدْو ويجعل البنات تحت ايدي نسآئهِ ليتعلمنَ الخياطة والطبخ وسائر الأَعمال البيتية والزراعية

وغالب طعامهم اللبن ولا يأكلونهُ الاّ رائباً يجعلونهُ في الوطاب حتى يختمر ويأكلون اللحم مشوياً او مسلوقاً ويطحنون الذرة ويلتّون دقيقها باللبن الحليب او يغلونها حتى تنتفش ويأكلونها وحدها . وكلهم مغرمون بشرب الدخان ويتخذون مسكراً من نقاعة الحبوب

اما دينهم فقيل انهم عَبَدة اوثان وقيل بل يؤمنون بكائن حكيم غير منظور ولكنهم لا يعبدونهُ ولا يمثلونهُ بهيئةٍ هيولية . ولبعض قبائلهم كهّان يتولون لهم بعض الشعائر الدينية من مثل ختان الأطفال وتعويذ المواشي

والانبآء بالغيب . وهم لا يعرفون الكتابة ولا يحسنون من الحساب الاّ الجمع ويعدّون على اصابعهم وليس عندهم لفظٌ لما فوق العشرة

ولبيوتهم وحظائرهم هيئة يمتازون بها عن سكان شمالي افريقيا فانها على العموم مستديرة الشكل ويحيط بها فسحة مسيَّجة باخشابٍ محبكَة . وفي بعض قبائلهم اناسٌ يزاولون بعض المصنوعات كالمُدَى والابر والاقراط والأسورة من حديد او نحاس مما يستغرب السياح وجود مثلهِ عند اولئك القبائل. ولهم حذقٌ بنقش صور ورسوم مختلفة على قُرُب خناجرهم وحرابهم وسائر مواعينهم الخشبية . ونسآؤهم يصنعنَ الآنية الخزفية ويفتلنَ الحبال من لحآء بعض الشجر ويتخذنَ منهُ خيوطاً في غاية المتانة

وهم كسائر سكان افريقيا يستكثرون من النسآء ومهر المرأة عندهم اثنا عشر رأساً من البقر . وأول شغل للمرأة بعد زواجها ان تبني بيتاً وتجهزهُ بمرافقهِ فتقطع بنفسها الخشب الذي يدخل في البنآء وربما أعانتها في ذلك امها او غيرها من نسآء ذويها .واذا رأى الرجل ان ماشيتهُ قد كثرت اهتمّ باتخاذ امرأةٍ اخرى فيُعرَف مقدار ثروة الرجل من عدد نسآئهِ

واما كيفية اعراسهم فذكر احد الرواة انهُ قبل ان تُهدَى المرأة الى بعلها تتزين بجميع حلاها وتقاد الى منزلهِ في حفلةٍ عظيمة وهي تبكي بصوتٍ عالٍ لمفارقة ذويها وتضرب صدرها ضرباً شديداً . فاذا بلغت منزلهُ وفيهِ سماسرة الزواج اعلنوا وصولها فيجيء الفاحصون ليفحصوها واذ ذاك تجثو امامهم ثم تتجرد من ثيابها وتقف عارية فيأخذون في وصف ما يرون فيها من حسنٍ أو قبيح ويشرحون كل ذلك شرحاً مفصلاً بصوتٍ جهوري . وبعد

ان يتموا لخصها من جميع جهاتها تدفع اليهم حباتٍ من اللؤلؤ جزآء عملهم ثم تسلم نفسها الى النسوة فيأخذنَ في جسّها ويفحصنها فحصاً مدققاً ثم يشرحنَ ما يبدو لهنَّ فاذا فرغنَ اهدت لهنَّ ايضاً هديةً اخرى ثم تخرج واذ ذاك تجري المساومة في المهر

وما يجري على المرأة يجري على الرجل ايضاً فيستحمّ ويدّهن ويتزين بالريش والحلى اللامعة من نحاسٍ او غيرهِ ويذهب ليعرض نفسهُ امام منزل العروس . فيقعد ثم يقف ثم يجثو على ركبتيهِ ثم ينهض ويدور حول نفسهِ ويمشي ويعدو حتى يتحققوا انهُ لا عيب فيهِ . وبعد ان يقع القرار على المهر يُقطَع بالزواج فيُحتفَل بالعرس ليلاً على ضوء المشاعل بين اصوات الجمهور المجتمع وعند ذلك يصل الكاهن وقد تزين بزينةٍ فاخرة فيأخذ برأسي العروسين ويصكّ احدهما بالآخر ثم يبضع في الذراع اليسرى من كلٍّ منهما ويُدخِل من دم الواحد في جسم الآخر واذ ذاك يرفع الاصدقآء والصديقات نيران الفرح ثم ينصرفون . اه

اما لغة الكفرة فمباينة تمام المباينة للغة الزنوج ولغة الهوتنتوت وهو ما يؤيد انهم جيلٌ قائمٌ بنفسهِ لكن من الغريب انهُ وُجد شبهٌ بين لسانهم ولسان اهل الكنغو ولذلك يغلب على الظن انهم من اصلٍ واحد . وربما وُجِد في كلامهم الفاظٌ عربية وهو مما سوّل لبعض الباحثين ان يدّعي انهم من اصلٍ ساميّ ولكن المحققين على ان دخول هذه الالفاظ في لغتهم كانت بسبب دخول العرب الى تلك البلاد كما تقدمت الاشارة اليهِ ولا يزال المسلمون منهم يتكلمون بالعربية الى هذا اليوم

وقد وصف لغتهم بعض كتاب الاوربيين ممن اقام مدةً بين ظهرانيهم فقال انها لطيفة المخارج كثيرة انواع الحركات ولكل كلمةٍ نبرةٌ في الهجآء الذي قبل الاخير وهو مما يحسّن سماع كلامهم خلافاً للغات بعض المتوحشين مما يؤدَّى بنغمة واحدة . وكلماتهم لا تتجاوز اربعة اهجئة ولا تكون اقل من اثنين ولا يتوالى عندهم ساكنان صحيحان وكثيراً ما يقع عندهم الابدال في بعض الحروف بين لغة قبيلةٍ واخرى وربما فُقدشيءٌ من المقاطع عند بعضهم اصلاً فنهم من لا توجد في لسانهم الرآء ومنهم من ينقص من حروفهم الدال والجيم والقآء والزاي . ومن غريب ما رواهُ ان الزمن في الافعال يُدَلّ عليهِ بالضمير لا بصيغة الفعل فاذا اراد المتكلم مثلاً ان يدلّ على الماضي جعل ضميرهُ « دي » اي أناْ واذا اراد الدلالة على الحال قال « ديا » واذا اراد الاستقبال قال « دُو » . قال ويكثرعندهم المجاز وبهِ اتسعت لغتهم كثيراً وكلامهم على الغالب شعريٌّ الاّ انهم لا يعرفون وزن الشعر ولكنهم ربما ألّفوا جملاً يرتبونها على عدد الاهجئة لموافقة النغم واكثر ما ينظم الرجل في حوادث نفسهِ ولاسيما في وقائع الحرب والصيد ثم يُتناقل كلامهُ ويُحفَظ وعندهم من ذلك شيءٌ كثير يروونهُ ويحتذون طريقتهُ في الفصاحة . انتهى

الالماس في النيازك .

المراد بالنيازك الحجارة السماوية التي تسقط احياناً في بعض انحآء الارض بنورٍ ساطع وهزمةٍ شديدة وهي غير الشُهُب التي ورد ذكرها في غير موضعٍ من هذه المجلة وسنفرد لها فصلاً مخصوصاً نورد فيهِ آخر ما قيل

فيها ان شآء الله . وهي تتركب من عدة موادّ منها صخرية ومنها معدنية اخصها الحديد والنِكل وقد تبين من فحص بعض القطع الحديدية منها انها تتضمن حبَيبات من الالماس. واول من تنبه لذلك فيها المسيو جيّرُ وفايف والمسيو لَتشينُوف الروسيان فانهما حللا قطعةً منها فرسب منها غبارٌ فحمي في صلابة الألماس ثم فعل مثل ذلك المسيو فَينْشَنك الجرماني فوجد في راسبها حبيباتٍ دقيقة تخدش الياقوت والزمرُّد والسنباذج حتى الأَلماس نفسهُ وقد تبين لهُ ان معظم مادتها من الكربون مما رجّح عندهُ وجود الأَلماس في النيازك

غير انهُ لم يُقطَع بذلك حتى حققهُ المسيو فريدّيل احد اعضآء الندوة العلمية الفرنسوية فانهُ عمد الى قطعةٍ من الحديد النيزكي ونشرها فوجد في باطنها بعضاً من تلك الحبيبات مرصعَّةً في مادّتها فوضع القطعة في الحامض الكلورِدريك فانتشر منها لأَول مباشرة الحامض لها غاز الهدروجين المكبرت ثم انبعثت عنها رائحةٌ ثومية تدل على وجود فصفيد الحديد وظهر عليها شبه غبارٍ اسود في غاية الدقة . واذ ذاك وضعها في المآء الملكي وهو مزيج من الحامض الكلوردريك والحامض النتريك فانحلّ ذلك الغبار في السائل و بعد ما رسب صفّى السائل عنهُ وأخذ ذرّةً من الراسب بطرف سكين وفركها على صفحة الياقوت فخدشتها خدوشاً عميقة . و بعد فحصها بالمجهر وجد بينها عدةٍ بلوراتٍ صغيرة واضحة الاشكال شفافة لا لون لها بعضها مكعبة و بعضها ذات ثمانية سطوح . ثم وضع هذه في الحامض الكلوردريك فانحلّت جملةً ورسب منها ذرّاتٌ صغيرة متراكمة أشبه بالذرّات التي يتألف

منها الأُسرُب (البلمباجين)[١]

قال وعليهِ فلم يبقَ أدنى ريب في وجود الألماس في الحديد النيزكي وهذه اول مرّةٍ رُؤي فيها الالماس في حالتهِ الاولى أي قبل حدوث الضغط الشديد عليهِ فانهُ في جميع الصخور التي وُجِد فيها الى الآن يقدَّر انهُ لم يصرِ بهذه المنَة وعدم قبول الانحلال الّا في اثنآء تكوُّن الصخور المحيطة بهِ ولكنهُ ههنا بالعكس فانهُ يوجد موزَّعاً ذرّاتٍ تتخلل اجزآء الحديد النيزكي. وهو مع ذلك غير موزع على التساوي فاني اخذت قطعةً من ذلك الحديد وزنها من غرامين الى ثلاثة ظهر لي انها من فصفيد الحديد وحلّلتها على حدة فخرج منها ٣٥٠ من غبار الالماس أي ما يزيد على عشرين ضعفاً مما يوجد في سائر الحجر الذي اخذتها منهُ . وجملة الأمر انهُ بعد هذا الامتحان لم يبقَ شكٌّ في وجود الالماس في النيازك مما تمارى فيهِ بعض الباحثين من قبل ولا يبعد ان متابعة البحث في كيفية وجود الالماس في الحديد تؤدي الى الوقوف على سرّ تكوُّنهِ ولو قبل حدوث التبلور عليهِ . انتهى

التصوير الشمسي على الفاكهة

من بديع التفنن الذي توصلوا اليهِ في الصناعة ان يصوّروا على بعض انواع الفاكهة رسوماً مختلفة من كتابةٍ اونقش حتى صُوَر الناس وذلك بطريقةٍ طبيعية هي استخدام اشعة الشمس على حدّ استخدامها في التصوير على الورق وذلك ان كل احدٍ يعلم ان الوان النبات انما تستفاد من الشمس فانها

(١) راجع السنة الاولى من الضيآء ص ٧١٥ وما يليها

هي التي تلوّن الورق والثمار بالوانها واذا كان النبات محجوباً عن ضوء الشمس كان أبيض اللون او قريباً من البياض ولذلك ترى من التفاح مثلاً ما يكون احد جانبيهِ احمر والآخر أبيض ولا سبب لهُ الاّ ما ذُكر بأن يكون الجانب الملوّن معرّضاً للشمس والآخر بالعكس واذا كانت التفاحة مغمورةً بالورق بقيت برمتها بيضاء الاّ اذا وصل اليها شيء من النور من خصاص الورق فتتلون بقدرهِ

وقد اعتاد بعض اصحاب الزراعة في البلاد الاوربية ان يغلفوا الثمر بأكياس من الورق منعاً للطير او الهوام ان تصل اليهِ ولكنهُ اذا كان مما يُستحبّ ان يكون ملوناً كالتفاح والدُرّاقن جرّدوهُ من الاكياس قبل قطفهِ بأيام حتى تباشرهُ اشعة الشمس فاذا بلغ اللون المطلوب قطفوهُ . وقدْ بدا لبعضهم ان يستخدم هذه الخاصيّة في اظهار رسومٍ ذات معنى ترتسم على بعض الفواكه بنفس اللون الطبيعي الذي تكتسبهُ من الشمس . واول من تنبه الى ذلك كُوفُرْشيِّل في مؤلفٍ لهُ في الزراعة طُبع سنة ١٨٣٩ ولكن قلّ من احتفل بهذا الامر الى ان كان المعرض الزراعي في بطرسبرج سنة ١٨٩٤ فأعدّ بعض حذّاق ارباب الزراعة شيئاً من الفواكه اظهر عليهِ بعض الرسوم بالطريقة المشار اليها . ثم انهُ في سنة ١٨٩٦ زار بعض امراء الروس فرنسا فكان في جملة ما قُدّم على مائدة رئيس الجمهورية ثمرٌ من التفاح والدراقن قد رُسِم عليهِ الشعار الروسي باللون الاحمر الطبيعي فشاعت هذه الصناعة واخذوا يتفننون فيها حتى صار يمكن ان يُظهَر على الفواكه ادقّ الرسوم التي تظهر على الورق بالتصوير الشمسي . ولما كان معرض باريز الأخير سنة ١٩٠١

كان في جملة ما عُرض فيهِ تفاحاتٌ عليها صورة امبراطور روسيا والامبراطورة ورئيس الجمهورية وكلها واضحة الرسم كانها الصور على الورق

اما الطريقة في ذلك فهي اولاً ان تُحجَب الفواكه عن اشعة الشمس بتغليفها في الاكياس كما ذُكر او بان تغطَّى بين اوراق الشجرة نفسها بحيث لا يصل اليها النور ولا يظهر عليها أدنى احمرار لانها اذا وقعت عليها أشعة الشمس ولوتها ولو بحمرةٍ خفيفة فلا شيء يزيل تلك الحمرة عنها فيكون مثلها مثَل الورق الحساس اذا طُبع عليهِ

ثم انهُ عند ارادة العمل وينبغي ان يكون ذلك قبل قطف الثمرة باثني عشر يوماً يؤخذ المثال الذي يراد نقل رسمهِ ويوضع عليها حال اخراجها من الكيس . ولكي لا يسطو النور على سائر جوانب الثمرة يحسن ان لا تُخرَج رأساً من الكيس ولكن يُشقّ من أحد جوانبهِ ويوضع المثال على الجانب الذي قد كُشف منها وسائرها مستور داخل الكيس . والمثال المذكور ان كان الرسم المراد طبعهُ على الثمرة شعاراً او احرفاً او شيئاً من النقش البسيط قُوِّر هذا الرسم في قطعةٍ من الورق على الشكل المطلوب ثم ان أُريد ان يظهر الرسم حمرةً على بياض أُخذت الورقة المقوَّرة نفسها ووُضعت على الجانب المراد نقل الرسم عليهِ فيكون محلّ التقوير وحدهُ مكشوفاً للشمس فيحمرّ وسائر ما حولهُ مغطًّى فيبقى على بياضهِ . وان أُريد ان يظهر الرسم بياضاً على حمرة وُضعت القُوارة نفسها على الثمرة فتغطي ما تحت الرسم وحدهُ فيبقى على بياضهِ ويكون ما حولهُ مكشوفاً للشمس فيحمرّ . ويختار ان يكون لون الورق المستعمل لهذه الغاية ادكن او احمر او اسود او نارنجياً لأنّ

هذه الألوان لا ينفذها النور الا بما لا أثر لهُ . وسوآء وُضع على الثمرة الورق المقوّر او القُوارة فانهُ ينبغي ان يكون ثابتاً عليها لا يتزحزح من مكانهِ والاّ فسد الرسم فيثبَّت الورق المقوَّر بعصابتين من المطاط تُشدّان على طرفيهِ وتثبَّت القُوارة بالصاقها على القشرة بمادّةٍ لزجة وافضل ما يختار لذلك آح البيض (الزلال) . وبعد قطف الثمرة لا يبقى الا ان يزال الورق عنها فلا يعود النور يؤثر فيها

واما اذا كان الرسم المراد نقلهُ صورة انسان او نحوهِ فينبغي ان يؤخذ بالآلة الفوتغرافية على غشآء في غاية الرقة واللين ويجوز ان يؤخذ على الكاوديون و بعد ان يُكشَف ويثبَّت يُسلَخ غشآء الكاوديون عن الزجاجة ويحكَم على الثمرة ولمنع تزحزحهِ يثبَّت باحدى الطريقتين المذكورتين قبل . وهذا العمل ادقّ من الاول ولذلك يقتضي فضل عنايةٍ وانتباه ولا سيما في تلبيس الغشآء للثمرة فانهُ كلما كان الصاقهُ اتم احكاماً جآء الرسم ادقّ واضبط

جواب تهنئة

وردتنا تحت هذا العنوان الرسالة الآتية فأثبتناها بحروفها

كتبنا في العدد الثالث من الضيآء مقالة عنوانها « رحلة الاب لويس شيخو » وقد اثبتنا فيها بعض الملاحظات على هذه الرحلة المباركة . وكنا نتوقع من كرم صاحب الرحلة — الذي اعلن مرارًا حبهُ لتمحيص الحقيقة — ان يقابل ملاحظاتنا بالشكر لاننا تحرينا فيها الصدق وايدناها بالبراهين الساطعة والادلة التاريخية القاطعة ولكن جآءنا الجزء الحادي والعشرون من مجلة المشرق وفيهِ عكس ما كنا نرجي فقد كتب حضرة الاب فيهِ شذرة تحت عنوان « تهنئة » ضمنها من التنديد والمثالب

بدلاً من البرهان والحجة ما لا يُحسن سردهُ الا جزويتي ..... وتحامل على صاحب الضيآء الفاضل وعلينا بما لا يليق صدورهُ من رجل قد اتخذ شعارهُ اسم يسوع الاقدس الذي شُتم فلم يشتم . وقد ادعى اننا حشونا انتقادنا شتماً فاحشاً وكذباً محضاً واتى على دعواهُ هذه بثلاثة براهين « قاطعة » الاول — نسبتنا الى الراهبات اختطاف البنات . الثاني — قولنا انهُ ندد بالطوائف غير الكاثوليكية . الثالث — تخطئتنا لبعض اقوالهِ « الصادقة » . ولئلاً يظن احد مشايعيهِ الاغرار ان في دعواهُ شيئاً من الصحة نأتي هنا على دحضها وتزييفها فنقول

اشرنا في مقالتنا السابقة الى بعض اعمال الراهبات الفاضلات واختطافهنَّ البنات فاعتبر حضرة الاب كلامنا شتماً فاحشاً وكذباً محضاً مع اننا لم تقل غير الصدق ولم نروِ غير الواقع ولئلا يقول ان دعوانا بلا دليل نذكر لهُ ما يحضرنا الآن من تلك الاعمال الخيرية التي تؤيد قولنا وتشهد بما لاولئك الراهبات الفاضلات ولاساتذتهنَّ الآبآء المحترمين من « المشروعات المبرورة » في هذه البلاد

١ — ففي خريف سنة ١٨٩٨ اختطف الراهبات بحمص احدى تلميذاتهنَّ وهي « نرجس ابنة الخواجا خليل جراب » وارسلها حضرات الآبآء بدون علم اهلها مع احد الكهنة الى بعض القرى اخفآء لآثارها . ولكن والدها اهتدى الى مكمنها في قرية المشتى وارجعها بعد ان قاسى صعوبات شديدة وخاطر بحياتهِ والابنة المذكورة لا تزال حيةً ترزق وقد تزوجت

٢ — وفي سنة ١٨٩٩ اختطفنَ احدى تلميذاتهنَّ ايضاً وهي « منيرة ابنة الخواجا ضومط الصباغ » فخبأنها في ديرهنَّ ليلاً وارسلنها باكراً الى القرى المجاورة. فنشدها اهلها تلك الليلة عند الاقربآء وفي الدير نفسهِ فلم يجدوها لان الرئيسة الكلية التقوى انكرت وجودها في الدير وحلفت انها لم ترها تلك الليلة . ولكن خادمة الدير تحركت فيها عواطف الرقة وعوامل الضمير فأعلمتهم صباحاً انها قد أرسلت مع جماعة من قبل الرئيس الجزيل البرّ. وفي الحال لحق بها خالها الخواجا ميخائيل كرامة الرومي الكاثوليكي واخوها الخواجا ايلياس الصباغ الذي تربى في مدرستهم وكان وقتئذٍ

عندهم معلماً وقندلفتاً فأدركاها على مسافة ٣ ساعات من حمص وارجعاها بعد عناء جزيل وجهد طويل . ولم يمضِ على هذه الحادثة عدة ايام حتى طرد الآباء اخاها المذكور من ديرهم . . . . . .

٣ — وفي هذه السنة منذ ثلاثة اشهر اختطفنَ ابنتين من تلميذاتهنَّ ايضاً اسم الاولى « زاهدة ابنة الخواجا نصري الطرابلسي » واسم الثانية « نور الهدى ابنة الخواجا حبيب عبود » وقد ارسلهما حضرة رئيس اليسوعية الفاضل الى دير غزير بصحبة خادم ديرهم بحمص وهما الآن فيهِ . وهذه هي الحادثة التي اشرنا اليها تلميحاً في مقالتنا السابقة . اما اهل الابنتين فقد قاسوا في التفتيش عنهما مشقات عظيمة فسافروا الى زحلة فدمشق فبيروت فغزير وهم يبحثون عنهما و يستطلعون آثارهما حتى وجدوهما اخيرًا في دير غزير العامر وهناك نالوا من مجاملة الرهبان والراهبات ما اعادهم بصفقة الخاسر ذارفين عبرات الثكل من المحاجر

فماذا يقول حضرة الأب في هذه الحوادث الثلاث التي نكتفي بها الآن . ولعلهُ يدعي ان لا علم لهُ بها ولكننا قد رويناها لهُ مع بيان الزمان والمكان والاسماء كي لا يبقى عندهُ شبهةٌ في صحتها ولا سبيلٌ الى انكارها ولا يتهمنا باننا « حشونا كلامنا بالشتم الفاحش » وان كان مجرد رواية مثل هذه الاعمال يُعدّ في مذهبهِ شتماً فلماذا تفعلها تلميذاتهُ الراهبات ثم لماذا يعاونهنَّ على اتمامها اخوانهُ الآباء المحترمون

وقال حضرة الأب في « رحلتهِ » عند ذكر الروم الكاثوليك ما يأتي « واليوم املهم وطيد في ان راعيهم الجديد ... يعيد لهذه الطائفة عزها ورونقها و يضم الى حظيرتها الخراف الضالة » (كذا) . ثم قال عند ذكر السريان الكاثوليك وكاهنيهم « حقق الله امانيهما (الكاهنين) بانارة المتسكعين في ظلمة الضلال » (كذا) . فمن يقصد حضرتهُ بالخراف الضالة والمتسكعين في ظلمة الضلال سوى الطوائف غير الكاثوليكية كما هو ظاهر من سياق كلامهِ . وهل من تنديد بتلك الطوائف اعظم من هذا التنديد اوليس من العجيب بعد ذلك ان ينسب الينا الكذب المحض و يدّعي « انهُ ليس في كلامهِ ما يشتمّ منهُ رائحة التنديد على احد مطلقاً » . ام ذلك شأن

الجزويت اذا ضايقهم الخصم فزعوا الى التكذيب والانكار ولو كانت حجّتهُ اوضح من غرة النهار

ثم انا ذكرنا في مقالتنا السابقة اصلاح بعض اغلاط ارتكبها في رحلتهِ السعيدة وأيّدنا ذلك بالبراهين السديدة والحجج الدامغة فما كان منهُ حفظهُ الله الا ان ادعى ان تخطئتنا لاقوالهِ «كذب محض» ... لكونهِ على ثقة من انهُ لم يقل غير الصدق (برهان قاطع لا يحتمل الرد ...) ويا ليت شعري اين كان ذلك الصدق افي كلامهِ عن كنيسة الار بعين شهيدًا التي زعم انها هي كنيسة القديس يوحنا المعمدان مع ان هذي قد درست منذ قرون عديدة كما جآء في غير هذا الموضع من مشرقهِ الاغرّ . ام في كلامهِ عن كنيسة القديس جاورجيوس التي اخترع لها اسماً جديدًا يدل على قوّة تصوّرهِ ... ام في تاريخ السنكسار الخطي الذي نسبهُ الى القرن السادس عشر وهو من مخطوطات أواخر القرن السابع عشر فغلط بقرن ونيف من الزمان ... ام فيما ذكرهُ عن المنبر والايقنسطاس اللذين زاد في عمرهما مئة سنة (فقط) ام في وصفهِ لايقونة الار بعين شهيدًا التي زعم انها تمثل الانفس المطهرية ولم يفرق فيها بين المآء ولهيب النار ...

واما ما تكرم بهِ علينا من عبارات الطعن والشتم ودعواهُ المختلقة انناكتبنا ما كتبناهُ للتشفي من الآبآء اليسوعيين الذين طردونا من مدرستهم في حمص (كذا) الى غير ذلك فما نجلّ قلمنا عن الرد عليهِ ونتخذهُ عنوانًا على آدابهِ الباهرة ... لكننا نخبرهُ فقط اننا ولله الحمد لم نتشرف قط بدخول مدرستهم العامرة بحمص وان ما التجأ اليهِ من هذه الحجة محض تخرص واختلاق ابرزهُ من خبايا افكارهِ النيرة ليوهم السذّج من مشايعيهِ انناكتبنا ما كتبناهُ لغاية كالتي ذكرها مع ان غايتنا التي نتوخاها في كتاباتنا اسمى من ذلك كلهِ وهي مجرّد خدمة الحق متمثلين بقول الشاعر

اذا انا لم امدح على الخير اهلهُ ولم اذمم الوغد اللئيم المذمما
ففيم عرفت الخيرَ والشرَّ باسمهِ وشقّ ليَ الله المسامع والفما

أحد القرآء بحمص

الخزّان

هو السدّ العظيم الذي اتمّت الحكومة بناءهُ في هذه الايام بعد عمل ستة واربعين شهراً كان العاملون فيها لا يقلّون عن عشرة آلافٍ من النفوس فلا جرَم انهُ من اعظم الاعمال التي قامت بها حكومةٌ من حكومات الارض ومن أجلّ الآثار التي سيخلّدها هذا العصر للقرون الآتية وتكون مهوًى لركائب الزوّار يؤمّونها من الاقطار النائية وكيف لا وهو العمل الذي مثّل لنا في هذا العصر عهد الفراعنة العظام وأشهدنا ما اتوهُ من العظائم ايام شادوا الهياكل والاهرام لكن شتان ما بين اثرٍ اذا رآهُ الرائي تمثلت لهُ من ورائهِ صورة الرقّ والاستعباد ثم لم يرَ لهُ من منفعةٍ تشفع فيما قام عليهِ من الجور والاستبداد وبين عملٍ اقلّ ما فيهِ احياء بلدٍ مواتٍ يُدِرّ عليهِ من الخير والبركات أخلافاً ويحيي بحياتهِ مئاتٍ من سكان هذا القطر وآلافاً على كونهِ لم يُظلم فيهِ احدٌ مثقالَ ذرَّةٍ ولم تضع قطرةٌ من العرق جُزافاً

وقد كان الاحتفال بوضع الحجر الاخير منهُ في العاشر من هذا الشهر بمشهد مئاتٍ من علية الوطنيين من كل بلد والاجانب من كل مملكة وفي مقدمتهم سموّ امير البلاد واللرد كرومر وعدةٌ من امرآء الأُسرة الخديوية والوزرآء وأرباب الخطط العليا ونواب الدول وقد دُعي الى شهود هذا الاحتفال سموّ الدوك اوف كنّوت شقيق جلالة الملك ادورد وسموّ قرينتهِ وهي التي وضعت بيدها حجر الختام

وقد كان الشروع في بنآء هذا السدّ في ١٢ فبراير سنة ١٨٩٩ وكان

وضع الحجر الأول منهُ بيد سموّ الدوك المشار اليهِ وقد نُقش اسمهُ على الحجر المذكور كما نُقش اسم الدوكة على الحجر الاخير مع اسم سموّ الامير المعظم ليبقى ذكرهم هناك مورداً للاجلال والاحترام ومصاحباً للدهر ما كرّت السنون والأيام

واما صفة هذا البناء فهو جدارٌ ضخمٌ قائمٌ في جنوبيّ مدينة اصوان بين جبلين يكتنفانهِ من الشرق والغرب وهو مبنيٌّ من الحجر المحبَّب المقطوع من تلك الارض وطولهُ من احد الجبلين الى الآخر الف متر وارتفاعهُ فوق منسوب مياه النيل ٢٠ متراً ومن اساسهِ الى اعلاهُ ٤٠ متراً وعرضهُ مما يلي الارض ٢٥ متراً وعرض اعلاهُ ٧ امتار وارتفاعهُ فوق سطح البحر الملح ١٠٩ امتار . وقد جُعل فيهِ ١٨٠ مثعباً او عيناً لخروج الماء لكلٍّ منها باب من الحديد سهل الفتح والاغلاق وهذه العيون منها ٦٥ عيناً تُفتَح على منسوب ٨٧ متراً ونصف متر عن سطح البحر و٦٥ على منسوب ٩٢ متراً و٢٥ على منسوب ٩٦ متراً و٢٥ على منسوب ١٠٠ متر . ومقدار ما يمرّ من هذه العيون ١٢٤ الف قدم مكعبة في الثانية وجملة ما يُحبَس فيهِ من الماء ٧٠ الف مليون قدم مكعبة تروي فيما قدَّروا ٠٠٠ ٥٣٢ فدان من الارض فاذا فرضنا ان الارض الزراعية في القطر تبلغ ٠٠٠ ٣٢٠ ٥ فدان وهي اقلّ من الواقع بنحو ٩٠٠٠ فدان كانت الزيادة في الاراضي الزراعية مثل عشرها . وهذا فضلاً عن تعديل السقي في هذه الاراضي كلها بحيث يمتنع فيها ما كان يحدث قبلاً من الغرق والظمأ اذ يوزَّع الماء بقدرٍ ولا يذهب ما يفيض منهُ عن حاجة البلاد جزافاً في البحر الملح . وبما ان هذا المقدار يُدَّخر للزراعة الصيفية

فالخزان يُقفَل من اول دسمبر الى آخر مارس ويفتح بعد ذلك الى آخر يوليو وهو الأوان الذي فيهِ يعود الفيضان فتفتح العيون كلها ثم تُقفَل تدريجاً . وقد بلغت نفقاتهُ مليونين و٢٧٥ الف جنَّاي

ويتبع هذا السدّ سلسلة قناطر بنيت عند اسيوط الى شمالي الترعة الابراهيمية وهي تمتدّ من احدى ضفتي النيل الى الضفة الاخرى وطولها ٨٣٣ متراً وارتفاعها ١٢ متراً وفيها ١١١ عيناً وهي من متممات فائدة السدّ وقد بلغت نفقتها ٨٧٥ الف جنَّاي

هذا اهمّ ما يُذكَر في وصف هذا الخزان وتاريخ بنآئهِ اقتصرنا فيهِ على ما هو من غرض هذه المجلة . ونختم هذا المقال بابياتٍ وقفنا عليها في جريدة البصير الغرآء من نظم حضرة الاديب الشاعر الكاتب امين افندي الحداد شقيق الطيب الذكر المرحوم نجيب افندي الحداد وابن شقيقة صاحب هذه المجلة قال حفظهُ الله

اخزّانَ مصرٍ انت ام هرَما مصرِ ... اجلُّ واسمى في المكانة والقدرِ
اعدتَ لنا مجد القرون التي مضت ... وجددتَ من عهد الفراعنة الغرِّ
وهيهات ما اهرام مصر وان سمت ... بأرفعَ رأساً من حضيضك لو تدري
وليس سنان بن المشلل خالداً ... بأنبهَ من عباس مصرك في الذكرِ
وما قطرات السحب كالدرّ تنهمي ... بألطف وقعاً من عقيقك اذ يجري
وما انت خزّان المياه وطميها ... وابليزها بل خازن الدرّ والتبرِ
تدفقتَ بالخيرات من كل جانبٍ ... وجمَّعتَ اقطار المنافع في قُطرِ
فقـل للغوادي والروائح تنجلي ... وفي غير مصرٍ فلتسحّ على قفرِ

اذا ما جرت امواهها دون حاجةٍ　　وفاضت جرت منك المياه على قدرِ
ضربتَ على آثار مصرَ ولم يكن　　ليطمسها لولا جلالك من اثرِ
ألا فلتَسُدْ مصرٌ على كل بُقعةٍ　　بهِ وليطاولْ قُطرُها مسقط القَطرِ
بناءٌ من الدهر استعار بقآءهُ　　وأقسمَ ألاّ يُستَرَدَّ من الدهرِ
حكى فيضهُ في القُطر فيض قريحتي　　فامواههُ تجري وامواهها تسري
ولم اختصصْ مدحيهِ بالشعر عابثاً　　ولكن رأيت المدح يبقى مع الشعرِ

اسئلة واجوبتها

القاهرة — لما زار رئيس الجمهورية الفرنسوية بلاد الروس قُدّم لهُ خبز وملح فما كان الغرض من ذلك . ثم ان هذا نفسهُ موجود عندنا ايضاً يقال « فلان خائن العيش والملح » فما اصل هذا الاصطلاح وهل لهُ سبب تاريخي وهل اقتبسهُ اهل الغرب عن الشرق ام بالعكس　　عزيز صاصي

الجواب — لايخفى ان اكثر العوائد التي انتهت الينا عن الاقدمين قد غمضت اصولها لبعد العهد بها وفقد الكتب الدالة عليها ولذلك قد يتعذر الوقوف في بعضها على حقيقة راهنة . على ان الملح مما اصطلحوا ان يتخذوهُ رمزاً الى صحة العهد وهي عادةٌ قديمة شائعة عند اكثر امم الارض وقد تكرر ذكرها في التوراة في عدة مواضع كقولهِ في سفر العدد (١٨ : ١٩) خطاباً لهرون « كلّ تقادم الاقداس التي يقدّمها بنو اسرائيل للرب لك جعلتها ولبنيك رسماً ابدياً ذلك عهد ملحٍ مدى الدهر » . ومثلهُ في ثاني سفرَي الايام (١٣ : ٥) « ان الرب اعطى مُلك اسرائيل لداود الى الابد ولبنيهِ

بعهد ملح» . وجآء في سفر عزرا (٤ : ١٤) «وحيث انا اكلنا ملح القصر لم يكن لائقاً بنا ان ننظر الى مسآءة الملك . . . » . ولعل هذا المعنى الاخير هو الاصل في هذا الاصطلاح ولا يخفى ان الملح هنا كناية عن الخبز لانهُ لا يؤكل عادةً بدون ملح ومن اكل خبز انسانٍ حَرُمَت عليهِ خيانتهُ والى هذا الاشارة في قولهِ في المزمور الاربعين « الذي اتكلت عليهِ واكل خبزي هو رفع عليَّ عقبهُ »

وقد جآء مثل ذلك عند العرب يقولون فلانٌ ملحهُ على ركبتهِ وعلى ركبتيهِ اي لا وفآء لهُ . قال مسكين الدارمي

لا تلمها انها من نسوةٍ　　ملحها موضوعةٌ فوق الرُكَبْ

الملح يذكر ويؤنث . قال ابن الأعرابي والعرب تحلف بالملح والمآء تعظيماً لهما ويقال بين الرجلين مِلحٌ ومِلحة اي حرمة وذمام ويقال مالحتُ فلاناً اي آكلتهُ وهي المُمالحة . اه

ويمكن ان يكون الاصل في هذه العادة ان الملح يُستعمَل لمنع الفساد كما هو مشهور ولذلك يسمى في هذه الديار بالمصلح والخبز دليل المصافاة لان المؤاكلة لا تكون عادةً الا بين المتصافيَين فيجعل المتحالفان هذين الصنفين بينهما ويشتركان في اكلهما ليكون الحلف بصورة شكلٍ محسوس وهو اوقع في النفس واثبت في الذِكر والله اعلم

تنبيـه * جآء في الجزء السابق صفحة ١٤٣ « من المليمتر » وصوابهُ « من المليغرام » وفي صفحة ١٤٤ « عن رطوبة الهوآءِ » وصوابهُ « من رطوبة » . وفي صفحة ١٤٧ « الباجيك » وصوابهُ « البلجيك »

فكاهات

في القطار(١)

قال الراوي

دعتني احوال صحية الى ان اترك لندن واسافر الى ادمبرج وكنت على وشك البرء من كسرٍ برجلي اقعدني مدة في البيت فأخذت عربةً اقلتني الى المحطة فبلغتها قبل قيام القطار بربع ساعة . فابتعت تذكرتي ودخلت احدى العربات ولم يكن فيها سواي فاخترت محلاً مريحاً وجلست فيهِ . وكان الجوّ بارداً جدّاً والثلج يتساقط جوالح كبيرة كالقطن فوضعت دثاراً صفيقاً على كتفيَّ وشالاً من الصوف الغليظ حول جسمي ثم اخرجت كتاباً اخذت اقرأ فيهِ وكنت قد استصحبتهُ ليخفف عني بعض الملل في ذلك السفر الطويل . وبعد بضع دقائق كنت ارى المسافرين يردون الى المحطة افراداً وازواجاً فتمنيت ان يرافقني في عربتي بعض من تطيب لي محادثتهم فاحصل على بعض التسلية . فما مضى الا هنيهةٌ حتى فتح باب عربتي ودخلت منهُ فتاة لا اظنها بلغت العشرين ولكنها رقيقة الخصر معتدلة القوام يظهر من خلال نقابها نورٌ يتدفق من وجهها اللطيف ونارٌ تنبعث من عينين احدّ من السهام فجلست بازآئي . وكان فيها جاذب جعلني لا ارفع نظري منها وحدثتني نفسي اننا ستتعارف وسنتحادث ونتصادق وستحبني واحبها و . . . ولكن ما اجهل الشباب وما اسرعهم في بنآء القصور في الهوآء

وقطع مجرى افكاري انفتاح الباب ثانيةً اذ دخل منهُ رجل اسكتلنديّ طويل القامة ذو لحية طويلة شقرآء لم يكن معهُ شيء من الامتعة فتخطى الى طرف الغرفة وجلس ثم استخرج من جيبهِ جريدة واستغرق في قرآءتها . ودخلت بعدهُ سيدة

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

متقدمة في العمر كبيرة الجسم ما صدقت ان وضعت امتعتها والتفت بشالها الصوفي حتى جلست لتستريح . وجاء بعدها ايضاً رجل عرفتهُ انهُ من تجار لندن فجلس الى جانبي

اما انا فجعلت انتقد هؤلاء القوم بنظرٍ خفيٍ لارى من منهم تطيب لي محادثتهُ فكنت كلما نظرت الى احدهم يتحول نظري رغماً عني الى الفتاة الاولى وهي جالسة على المقعد الذي امامي وشعرت بشيء في صدري يوحي اليَّ ان هذه الملك من دون الباقين ستكون رفيقتي وتسليتي في السفر . وبينما كنا جميعنا في سكوتٍ تام اذا بالتاجر قد نظر من نافذة العربة وقال هوذا احد رجال الشحنة السريين فلا بد من حصول حادثةٍ في هذا السفر . ونظرت فاذا الجميع قد تحولت ابصارهم الى النافذة وقالت السيدة الكبيرة اين هو وكيف عرفت انهُ من رجال الشحنة . قال هو ذا — واشار الى رجلٍ طويل القامة — وقد عرفتهُ من حذائهِ فلا يلبس هذه الاحذية الا رجال الشرطة . ثم ان الرجل انزل قبعتهُ الى ما فوق عينيهِ كانهُ يود ان يخفيهما وهما مع ذلك تندفعان بنظر حادّ كانهما مصباحان كهربائيان يستعملهما للبحث عن الغوامض وقد رأيتهُ مرَّ عدة دفعات امام القطار كانهُ يراقب احدًا . وكنا جميعنا نراقب الرجل فوجدناهُ كما وصفهُ التاجر واذ ذاك صفر القطار علامة المسير وللحال فُتح باب غرفتنا ودخل منهُ الرجل المذكور وبيدهِ صندوق من الجلد فرفع قبعتهُ اكراماً للجلوس ثم وضع صندوقهُ وجلس . وما كاد يستقرّ بهِ المقام حتى رأيت دلائل الدهش والخوف والانقباض قد ارتسمت على وجه كلٍ من رفاقي ولا سيما الفتاة فانها انقبضت شديدًا ورفعت شالها الى كتفيها ثم طأطأت رأسها بحيث لا يظهر وجهها . اما الباقون فمنهم من حوَّل وجههُ الى النافذة ومنهم من ستر وجههُ بجريدتهِ او كتابهِ كانهم قد استثقلوا هذا الضيف بينهم او كأن كلاً منهم قد تصور ان الشرطي انما هو قادم لالقاء القبض عليهِ . وراجعت انا افكاري فلم اتذكر انني فعلت شيئاً يستوجب تداخل رجال الحكومة فيهِ فلم ابتئس من قدوم هذا المسافر ورأيت انني الوحيد بين هؤلاء في نقاوة الضمير فجلست اراقب حركاتهم وقد رأيت فيها ما يلذّ

لي ولكنني خشيت على الفتاة ووددت ان اعلم ما الم بها واسعى في مساعدتها اذا كان ذلك في امكاني

وكان القطار قد سار بنا منذ دخول الرجل بين هزيم الرعود وعصف الرياح وسقوط الثلج وما زلنا كذلك حتى ابعدنا عن لندن وهجم الظلام فلم نعد نرى شيئاً سوى ارضٍ بيضآء مكسوة بالثلج. ولحظت ان الفتاة اخرجت دفترًا من جيبها عرفتهُ انهُ دليل المحطات فنظرَت اليهِ ثم نظرت في ساعتها وتنفست كمن سُرّي عنها. واذ ذاك شعرت ان القطار قد خفف مسيرهُ الى ان وقف وسمعنا احد رجالهِ ينادي باسم المحطة التي وقف فيها

واطلّ الرجل الغريب من النافذة فتبعتهُ بنظري قليلاً ولما عدت الى نفسي رأيت محل الفتاة فارغاً ولم اجدها لاهي ولا امتعتها فعجبت جدًّا من هذا الاختفآء السريع وعلى الخصوص لانني كنت قد رأيت تذكرتها وعرفت انها مسافرة ايضاً الى ادمبرج وتحققت رغماً عن صوت ضميري ان للفتاة شأناً في مجيء رجل الشحنة السري والاّ لما اظهرت ذلك الاضطراب حال دخولهِ وهذا الاختفآء عند اول فرصة ولكني اجتهدت ان انزع هذا الفكر من رأسي لان عواطفي دفعتني الى محبة الفتاة والدفاع عنها . ثم زاد تعجبي حين رأيت الاسكتلندي قد خرج ايضاً خُلسةً وتبعتهُ السيدة الكبيرة وقد حملت امتعتها وآخر الكل خرج التاجر ولم يبقَ في الغرفة سوايَ مع الرجل الغريب

وبينما انا اعجب مما ارى اذا بالغريب قد ادخل رأسهُ من النافذة ثم حمل صندوقهُ وبدون أن يلتفت الى احد خرج ايضاً من الغرفة وبقيت وحدي . فلم املك نفسي من الضحك على تشخيص هذه الرواية امامي وانا اودّ ان اصل الى آخرها وأرى ما ينتهي اليهِ الامر

وبعد نحو عشر دقائق عاد الرجل الغريب بصندوقهِ فوضعهُ في محلهِ وجلس حيث كان اولاً وعاد القطار الى مسيرهِ . وكأن الرجل انتبه الى خلوّ الغرفة فاظهر علامة التعجب ثم نظر اليَّ وقال ارى اصحابنا قد خرجوا جميعاً من هنـا وقد فهمت

انهم كلهم مسافرون الى ادمبرج فما سبب تركهم هذه الغرفة يا ترى . فقلت لعلهم رأوا اصحاباً لهم في محلاتٍ اخرى فذهبوا لمرافقتهم . قال لا اظن ذلك بل لعلهم ازعجهم حضوري ففضلوا الابتعاد عني . فقلت بتبسم خفيف وانا من رأيك فانهم مذ عرفوا انك من رجال الشحنة تغيرت هيئاتهم وشعرت انهم كانوا يفضلون بعادك على مرافقتهم . فقال ضاحكاً وكيف عرفوا اني من رجال الشحنة . ثم كانهُ فطن من نفسهِ فقال حقاً ان هذه الاحذية تدل علينا مهما اجتهدنا في التخفي ولا ادري لماذا لا تنتبه الحكومة الى هذا الامر وتسمح لنا بلبس ما نراهُ موافقاً . ثم اتبع ذلك بقهقهةٍ غريبة لم ادرك معناها . فقلت لهُ اذاً ظن اصحابي في محلهِ وانت تسعى في القبض على احد المسافرين . فقال نعم ان بعض مهرة اللصوص المشهورين بسرقة الجواهر والحلى قد سرق صندوقاً فيهِ مبلغ من المصوغات الثمينة والحجارة الكريمة وهو في القطار و بالقرب منا . فقلت بتعجب اين هو وقد رابني ان يكون الرجل ظن بي سوءا . فقال هو في العربة الثانية التي بازآئنا . فقلت لهُ بما انك قد عرفتهُ فلماذا لم تلقِ عليهِ القبض قبل ان يركن الى الفرار . قال هيهات ان يفر فانا اتبع لهُ من ظلهِ الى ان نبلغ المحطة الاخرى فقد ارسلت اليها رسالة برقية و ينتظرنا فيها نفر من الشرطة للقبض عليه

وسار القطار بنا مدةً والظلمة تزداد سواداً والثلج يزداد تساقطاً . فاخذ رفيقي صندوقهُ وكان اخبرني ان اسمهُ فيليب فرأيت احرف اسمهِ على الصندوق . ثم وضع يدهُ في جيبهِ وقال آه فقد نسيت مفتاح هذا الصندوق في البيت فكيف العمل لفتحهِ . فقلت وماذا تريد ان تأخذ منهُ . قال قد بلغ مني الجوع وفي هذا الصندوق شيء من الكعك . فرفعت يدي الى جهة صندوقي وقلت لهُ لا بأس فان معي شيئاً من الزاد وانا جائع ايضاً فاسمح لي ان اشاركك في طعامي . فقال لالا والحَّ عليَّ ان لا افعل ولم يمكني من فتح صندوقي بل اخذ من جيبهِ آلةً حديدية وضعها بين طبقتي صندوقهِ بمهارةٍ فسمعت انكسار الاقفال . ثم ادخل يدهُ فيهِ واستخرج عدداً من اللفائف فاودعها جيو بهُ وعاد فشدَّ الصندوق بر باطهِ الجلدي وارجعهُ الى مكانهِ واخذ واحدة

من تلك اللفائف ففتحها واذا فيها مقدار من الكعك اعطاني شيئاً منهُ فجعلنا نأكل ونتحادث والقطار ينهب الارض نهباً

وبعد حين قال لي رفيقي فيليب انهُ يخشى من اشتداد سقوط الثلج ان يغمر الخط الحديدي ويمنع مسير القطار وكأن نبوّتهُ جآءت في وقتها فلم نشعر الا وقد خف بنا المسير شيئاً فشيئاً الى ان وقف القطار في وسط ظلمة حالكة كادت تستر الانوار الكهربآئية القوية فلا ينبعث منها الا نور ضعيف جدّا . وسمعنا السائق يقول ان القطار قد رزح تحت اثقال الثلج المتراكم عليهِ وقد سُدّ طريقهُ فلا يستطيع التقدم وللحال رأيت ان جميع المسافرين قد اطلوا من نوافذهم ليروا ما الخبر . اما رفيقي فقال لي انهُ يخشى ان يغتنم اللص الفرصة ويهرب في تلك الظلمة فترك صندوقهُ واوصاني بهِ فوعدتهُ ان احتفظ بهِ وخرج . اما انا فعجبت من امرهِ لانهُ لما خرج اول مرة وكان صندوقهُ مقفلاً اخذهُ معهُ ولم يأمني عليهِ فكيف فعل ذلك الآن بعد ان كسر اقفال الصندوق . واتبعتهُ نظري حتى خرج من الباب وسار بضع خطوات ثم اخفاهُ الظلام عني

وبينما المسافرون في حيرة شديدة رأينا نوراً يقترب الينا من جهةٍ اخرى حتى قارب القطار واذا برجلٍ يحمل مصباحاً كبيراً فنادى باعلى صوتهِ قائلاً ايها السادة ان لي نزلاً على بعد نحو مئتي خطوةٍ من هنا وفيهِ ما يلزم من الطعام والاسرّة لمن يشآء فاذا اراد احد ان يشرّفني الى ان ينقطع الثلج ويعود القطار الى مسيرهِ فاهلاً ومرحباً . وجآءت دعوة هذا الرجل كهبةٍ سماوية لجميعنا فصرخ الكل نعم نذهب نعم نذهب ولم يكن كلمح البصر حتى رأيت الركاب يخرجون من غرفهم وقد تأبطوا امتعتهم وتبعوا صاحب الدعوة . اما انا فخطر لي ان اذهب ايضاً ولكن رأيت ان انتظر رجوع فيليب لانهُ لا يصح ان اترك امتعتهُ بعد ان اوصاني بها ولكن بعد ما انتظرت كثيراً ولم يرجع خشيت ان يسبقني القوم فلا اعود اتمكن من معرفة الطريق فنهضت وحملت باليد الواحدة صندوقي وباليد الاخرى صندوق فيليب وسرت ورآء الجمع وكان الالم الباقي في رجلي والحمل الذي بيديّ يمنعاني من السرعة فما بلغت

النزل الا وكان الجميع قد سبقوني فدخلت . واجلت نظري في الردهة لأجد لي محلاً فلم اجد ورأيت في بعض الزوايا جمعيةً مؤلفة من رفاقي الاولين الذين كانوا معي عند ابتدآء السفر فسرت لاجلس بجانبهم ولكنهم ما رأوني حتى بدت على وجوههم علامات الاشمئزاز ولحظت ذلك فوضعت الصندوقين على الارض وجلست عليهما وكانت عيناي تتنقلان بين ذلك الجمع . وطرقت اذني بعض كلمات من رفاقي فهمت منها انهم يحسبوني ايضاً من الشحنة السريين والا لما بقيت وحدي مع الشحني في العربة والذي زاد اعتقادهم هذا ما رأوهُ حين دخولي اذ كنت حاملاً صندوق فيليب معي فعلمت اذ ذاك سبب نظرهم اليَّ بكرهٍ حين دخلت . وبعد قليل جآءني الرجل الاسكتلندي فوقف بجانبي وقال قد علمتُ انك من رجال الشحنة ايضاً فقل لي بصراحة هل تقصدونني انا . فتبسمت وقلت كلا . وكأنهُ أُفرج عنهُ فتنفس الصعدآء وقال انني لم اترك زوجتي الا عن اسباب موجبة انا مستعد لايضاحها عند الطلب وقد ظننت انها سعت لدى الحكومة في طلب ارجاعي . فادركت اذ ذاك سبب اضطرابهِ اول ما علم بوجود شحنيٍ سرّي وطمأنتهُ فشكرني ورجع الى مكانهِ . فقلت في نفسي لا بد ان يكون للباقين اسرارٌ اخرى وصرت ارغب ان اعرف السر الذي للفتاة فاتنتي . وبعد قليلٍ جآءتني السيدة الكبيرة فقالت اذا كنت انا غرضكم فارجو منك ان لا تسمح باهانتي امام الحضور وانا مستعدة ان اتلو عليك قصتي فتعلم منها انهُ لم يكن لي دخلٌ قط في الامر . وقبل ان تتم حديثها وتفضح اسرارها اشرت اليها بالسكوت وقلت لها كوني مطمئنة ايتها السيدة فلستِ انت غرضنا في هذه الليلة . فاشرق جبينها فرحاً وسُرّي عنها وعادت الى كرسيها . ثم جآء بعدها التاجر ومشى امامي ذهاباً واياباً كانهُ انتظر ان افاتحهُ انا بالحديث وكان في يدهِ كتاب مكتوب عليهِ اسم سميث عرفت انهُ اسمهُ . ثم توقف فجأةً وجآء اليَّ فقال ارجو منك ايها السيد ان تتأكد انني لم افرّ من لندن بقصد ان لا ادفع ديوني التي تُستحقّ غداً ولكني انتظر مبلغاً سيرد عليَّ بعد يومين فرأيت الافضل ان اغيب عن محل شغلي الى حين ورود المال وهذه هي الحقيقة بتمامها . فقلت لهُ انا اعلم استقامتك

يا حضرة المستر سميث فكن براحة بال فاننا لا نمسُّك بسوء ما دام في نيتك الوفآء فسرَّ الرجل جدًّا لجوابي وتعجب حين رآني اكلمهُ باسمهِ فشكرني وذهب . وكنت انتظر ان تقدم اليَّ الفتاة بعدهُ ولكنها لم تفعل بل زادت في التخفي ورآء اصحابها وهي تودّ ان لا يرى احدٌ وجهها . وكانت نفسي تحدثني ان اذهب انا اليها واكلمها واذا بباب الردهة قد فتح فسمعنا ضجةً ولغطًا في الخارج ثم دخل صاحب النزل فاحدق الجميع بهِ مستفهمين عن السبب فقال ان دوقةً في ادمبرج بعثت الى وكيلها في لندن ان يرسل اليها جواهرها وحليها المودعة في البنك لتلبسها في حفلةٍ رسمية ولم يأمن الوكيل على هذه الجواهر فوضعها في صندوق وسافر بهِ بنفسهِ ليوصلهُ سالمًا. وكان يخشى ان يصادفهُ حادث في الطريق فطلب من ادارة الشحنة ان ترسل معهُ اثنين من رجالها يحرسانهِ في الطريق . وعلم بذلك احد دهاة اللصوص فسافر في نفس القطار ولما وقف القطار في اول محطة تفقد الوكيل صندوقهُ فوجدهُ خاليًا من تلك الجواهر فطار رشدهُ واعلم الحارسين فوعداهُ بالقآء القبض على السارق . وقد امسكاهُ الآن حقيقةً وهو يقاوم ويمانع ولكنهما تمكنا من ايثاقهِ وسجنهِ في الغرفة السفلى

فتعجب الجميع من هذا الحادث ونظرت الى رفاقي وخصوصًا الفتاة فرأيتهم قد عادت النضارة الى وجوههم وتحققوا انهم في امان . وكنت انا اعجب من مهارة فيليب في القبض على الجاني واقول في نفسي انهُ لا بد ان ينال مكافأة وافرة . ثم فتح باب الردهة ثانيةً ودخل منهُ رجلٌ طويل القامة اشقر اللون اجال نظرهُ الحاد في الغرفة حتى وقع عليَّ فاقترب مني وهمس في اذني قائلاً هات هذا الصندوق واتبعني . فقلت لهُ انهُ ليس صندوقي وانهُ للشرطي فيليب اوصاني بهِ فلا يمكنني التصرف فيهِ قبل رجوعهِ . فتبسم الرجل وقال ليس فيليب بشرطي بل هو ادهى لصوص انكلترا وقد اصبح في قبضتنا فهات الصندوق واتبعني . ولو وقعت عليَّ صاعقة في تلك الدقيقة لما اثرت فيَّ اكثر من الكلام الذي سمعتهُ وقلت سيحسبونني الآن شريكًا لهُ ويلقى عليَّ القبض ولكنني شددت عزائمي لحملت الصندوق

وسرت ورآء الرجل . وما بلغت باب الردهة حتى سمعت جميع المسافرين يقول بعضهم لبعض انني انا احد الشحنة فسرني ذلك وقلت في نفسي انهُ اشرف من اعتقادهم اني شريك السارق . وذهب بي الدليل الى غرفةٍ اخرى فيها فيليب موثق الايدي والى جانبهِ الشحني الآخر فلما وقعت عينهُ عليَّ تبسم طويلاً كانهُ في تمام السرور . وطلب الشحنيّ تقريري عما اعلمهُ عن فيليب فاخبرتهُ بجميع ما حصل

وظهر اذ ذاك من اقرار فيليب انهُ علم بسفر الوكيل بالجواهر فابتاع صندوقاً يشابه صندوق الوكيل ولما وقف القطار في المحطة الاولى وخرج من غرفتي حاملاً صندوقهُ ذهب الى الغرفة الثانية وبمهارةٍ غريبة انتشل صندوق الوكيل ووضع صندوقهُ مكانهُ ثم ابتاع قليلاً من الكعك وعاد الى غرفتي وانهُ لما كسر اقفال الصندوق واخرج منهُ اللفائف التي قال انها مأكولات لم تكن الا العلب التي أُودعت فيها تلك الحلي الثمينة . وكان رجلا الشحنة قد استدعيا وكيل الدوقة ايضاً فاخذوا يخرجون من جيوب فيليب تلك اللفائف وهو يفحصها حتى استرجع الجميع ووجد انهُ لم يفقد لهُ شيء ثم اخذ الرجلان فيليب وسارا بهِ الى حيث يسلمانهِ الى القضآء وكان يسير بينهما ضاحكاً. ثم نظر اليَّ وقال الى الملتقى ايها الرفيق فقد اعجبتني طيبة قلبك وسلامة صدرك وعسى اني في النوبة الآتية يصادفني من اعتمد عليهِ نظيرك

اما انا فرجعت الى الردهة وكان الجميع منتظرين ليفهموا نهاية الامر فاخذوا يسألونني عن السبب وكانوا كما ذكرت يعتقدون انني من رجال الشحنة فحافظت على اعتقادهم وقلت لهم بافتخار اننا قبضنا على اللص واسترجعنا السرقة الى صاحبها وارسلنا اللص الى السجن . فبدت علائم العجب على جميع الحاضرين وجعلوا ينظرون اليَّ بوقار واحترام حتى ان الفتاة نفسها لم تعد تخاف مني بل جآءت الى جانبي وجعلت تحادثني

وبعد ان تناولت شيئاً من القوت في النزل انصرفنا الى غرفنا ونمنا وعند ظهر اليوم الثاني قيل لنا ان الطريق قد كُسح الثلج عنها وان القطار على اهبة المسير فاسرعنا اليهِ للحال واجتهدت هذه المرة ان لا افارق الفتاة فجلست معها في غرفة

واحدة ولم تهرب مني . ولما سار بنا القطار كنت احادثها والاطفها حتى استأنست بي فسألتها عن سبب سفرها في هذا الوقت البارد وعن اظهار خوفها حين سمعت بالشحني . فقالت ارى فيك لطفاً لايعنيني من افشآء سري فانا ليس لي من الاهل سوى اخ من عمري مستخدَم في لندن عند تاجر يدعى المستر جورج ارنولد . فدهشت جداً لان هذا الاسم اسمي وقلت لها وما هو اسم اخيكِ . قالت هنري برات . فزاد استغرابي وتحققت انها اخت كاتب في محلي . ثم اكملت حديثها فقالت ولم تكن اجرة شقيقي كافية للقيام بحاجاتنا نحن الاثنين فكنا نعيش بمزيد التقتير واخي يعلل نفسهُ ان رئيسهُ سيعطف عليهِ يوماً ويزيد لهُ اجرتهُ ولكن كان الرئيس لا يهتم بامرهِ فصبر على نارهِ وعشت واياهُ على الامل الى ان مرضت يوماً واضطررنا الى احضار الطبيب وعلاجات شتى . ولما لم يكن لاخي صديق يقرضهُ ما يحتاج اليهِ من النقود اخذ من مال المحل مبلغ عشر ليرات وهو يؤمل ان يفيها حين يمكنهُ ذلك بدون ان يعلم احد . ولكنهُ علم منذ يومين ان صاحب المحل يريد ان يجرد حساباتهِ في آخر هذا الشهر فطار فؤادهُ واعلمني بالامر فوقعنا في حيرةٍ عظيمة لانهُ اذا وُجد النقص عُدَّ اخي سارقاً وطرد من وظيفتهِ فماذا يحلّ بنا . ولا انكر ان اخي قد غلط فيما فعل ولكن ما باليد حيلة وقد رأينا الافضل ان اسافر الى ادمبرج حيث لنا بعض الاصدقآء ولي امل ان اقترض منهم هذا المبلغ واعود بهِ الى اخي فيسدد بهِ ذلك النقص ونأمن شر الفقر . فلما ركبت القطار وسمعت بوجود احد رجال الشحنة خفت ان يكون صاحب المحل قد علم بالامر وان القضآء قد اخذ عليَّ الطريق فاشكر الله ان ظني لم يكن في محلهِ واسألهُ تعالى ان يوفق مسعاي ويسهل رجوعي سريعاً الى اخي لانهُ على نار الانتظار . وكان في حديث الفتاة رنة خجلٍ سلبت لبي وتذكرت ان اخاها من افضل العاملين عندي وهو نشيط جداً فلمت نفسي كثيراً لانني لم افطن لهُ قبلاً وأزد اجرتهُ التي كانت بالحقيقة لا تكفي لمعيشة اثنين ولكنني عزمت على ان اتلافى ما مضى فاغتنمت فرصةً كانت الفتاة ملتهية فيها بتلاوة جريدة بيدها واخذت من جيبي ورقاً وكتبت ما يأتي

« انني مسرور من كاتبي الامين هنري برات وقد وهبتهُ مئة ليرة جزاء خدمهِ السابقة وجعلت راتبهُ بعد الآن ضعفي ما كان قبلاً وذلك على شرط واحد اتفق عليهِ مع شقيقتهِ اللطيفة ..... »

ثم وقعت على الورقة باسمي جورج ارنولد ودفعتها الى الفتاة . فما قرأتها وعلمت الحقيقة حتى جحظت عيناها وارتعشت شفتاها وقالت واليأس يقطع كلامها آه ما اتعسني فقد افشيت سر اخي الى رئيسهِ . ثم نظرت اليَّ نظرة تجرح الفؤاد وقالت استحلفك بالله ان لا تسيء الينا وأعدك ان اخي يرجع المبلغ الذي اخذهُ قبل آخر الشهر . فتبسمت واخذت اطيب خاطرها ثم اكدت لها ما كتبتهُ لأخيها وما نويت ان اعاملهُ بهِ اذا قبلت بشروطي . فقالت وقد صبغ التهيج وجنتيها بلون القرمز ما هي شروطك يا مولاي فانا اخدمك ما حييت . فقلت لا اريد ان تخدميني بل ان تعاونيني في ما بقي لي من الحياة . وفهمت طلبي فسترت وجهها بيديها وتمتمت قائلة من كان يظن انني احصل على هذه السعادة

وما بلغنا ادمبرج حتى اصبحت والفتاة روحاً في جسمين ولم يطب لي العيش حتى عُقد لي عليها حال وصولنا واصبحت زوجتي ثم امليت عليها رسالةً ارسلتها بالبرق الى اخيها وهذا نصها

« عزيزي هنري — لا تهتم بامر النقود فسيعطيك اياها زوجي المستر جورج ارنولد حال رجوعنا الى لندن بعد يومين »

ولما عدنا الى لندن استقبلنا هنري وهو كالمأخوذ فاخبرتهُ شقيقتهُ بما حصل واقمتهُ وكيلاً على اشغالي وتفرغت لاقتطاف ازهار المسرات مع زوجتي المحبوبة راتعين في بحبوحة السعادة والرخاء

اما فيليب فسألت يوماً عما آلت اليهِ حالهُ بعد القاء القبض عليهِ فقيل لي انهُ تمكن من الفرار من ايدي الشحنة في تلك الليلة الظلماء. ولم يوقف لهُ على اثر